

مرسلات ...

الإصلاح

ما من رئيس أو وزير أو حاكم أو مدير في هذا البلد إلا وهو يتغنى بأنشودة « الإصلاح » ، ويضرب على وتيرته ، ويومض للناس بريقه الخلب ، ويلهم حواليه باسمه الجذاب ... ولكن دعوات « الإصلاح » تبدأ عندما تبدأ سارة ، ثم تنتهي إلى نهاية محزنة : تبدأ عالية مدوية يربح لها الوادي من بطاحه ورعانه ، ثم لا تلبث أن يأخذها الضعف شيئاً بعد شيء ، حتى تعود همسات خافتة لا تكاد تُسمعها الآذان ، ثم تسكت بعد قليل سكته للموت !

ولو أن امراً عني بمرض ما ينشر في الصحف عن الإصلاح منذ النهضة الوطنية إلى اليوم ، ولا سبياً إبان تغيير الوزارات ، وهليلد الرياضات ، وافتتاح المجالس ، وتأليف اللجان ؛ لرأى في الخطب الطنانية ، والأحاديث الرنانة ، والمذكرات المحببة ، وعوداً بالعمل تتلوها وعود ، وبشارات بالإصلاح تردفها بشارات ... ولكن أعمار الرياضات المختلفة تنقضي — طال بها الزمان أو قصر — وشيء من ذلك لم يتحقق ، ثم تبديل الرجال غير الرجال ، والمهود غير المهود ، فيمود الناس كرة أخرى إلى الخطب والوعود !

أين « المصلح » الصادق الذي يخلص لفكرة « الإصلاح » أكثر مما يخلص لشيء سواها ؟ إن الرجل ليضع بنفسه خطة النهوض ، ويرفع يمينه شملة التجديد ، حتى إذا اجتذب بها القلوب ، ووجه إليها النفوس ، ونال منها ما يصبر إليه من عرض هذا الأدنى ، تركها في صهب المواصف الجامحة من رغبات أو شهوات ، تتولاها شياطين الإفساد ، وهو عنها نائم . ولعمري لو مُس هذا « المصلح » في شخصه من قريب أو من بعيد ، لثار لنفسه ما لم يثر لفكرته ، ثم لثار له عشرات من أوليائه ومن خادميه لا يسألونه : لم تار ؟

محمد محمد الهادي

ترسمان بأحرف كبيرة على الباب كحز وتذكرة لرب الدار أنه بشر يتوفاه الله^(١) وكثيراً ما تكذب هذه الكلمات على باب الدار إذا كان صاحبه السابق أو أغلب سكانه السابقين أو جميعهم قد توفوا إن أفضل الوسائل لإبعاد اللل والأمراض كتابة آيات من القرآن^(٢) في وعاء من الفخار يصب فيه قليل من الماء . ويرج حتى تزول الكتابة ثم يشرب المريض الماء المتقوع فيه هذا الكلام المقدس وهو ما يلي : ويشف صدور قوم مؤمنين (سورة التوبة آية ١٤) . يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم فوشفاء لما في الصدور (سورة يونس آية ٥٧) . فيه شفاء للناس (سورة النحل آية ٦٩) . ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين (سورة الإسراء آية ٨٢) . فإذا مرضت فهو يشفين (سورة الشعراء آية ٨٠) . قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء (سورة فصلت آية ٤٤) . ومن هذه الآيات أربع لا تشير إلى أمراض الجسم وإن استعملت لذلك ، بل تشير إلى أمراض العقل . وتشير الآية الثالثة إلى فضائل المسئل . وقد سألت شيخي أن يبين لي موضع هذه الآيات من القرآن فرجاني عندئذ ألا أترجمها بلنثي لأن ترجمة القرآن بنير ذكر النص الأصلي محرمة ، لأنه خجل من جريان العادة باستعمال هذا الكلام طلباً فكره أن يعرف مواطني ذلك . وقد أوضح لي اعتقاده التام في تأثير هذه الآيات حتى على المريض الكافر وأظهر تهته التامة بقوتها . وقال ملاحظاً : « إن الرسول (صلم) قال : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تغدو خماساً وتروح بطاناً » . وقد هدأت وسواسه في ذلك بإخباره أن للقرآن ترجمة انجليزية ويعطى للمريض أحياناً لشفاء الأمراض وإزالة أثر السموم جرعة ماء في طاس معدني نقش بداخله آيات قرآنية ورسوم وأشكال طلسمية . وقد أهدى إلى أخيراً في القاهرة طاسة مثل هذه أعجب بها أصدقاؤى المسلمون كثيراً . وينقش أيضاً خارج الطاسة كتابات تمدد فضائلها ، وتشير إلى خواصها من إبطال السموم والحسد وشفاء الأمراض واللل والموت . وقد رأيت هنا طاسة أخرى كالسابق وصفها تماماً ، غير أن نقوشها زالت قليلاً . ويعتقد أن أسرار القرآن كثيرة جداً . وفي ذات يوم رفضت أن أتناول طعاماً خشية الضرر فنصحني بقراءة سورة قريش إلى آخر « الذي أطمعهم من جوع » وأن أردد هذه العبارة الأخيرة ثلاث مرات . وقد جزم لي أن في هذا وقاية أكيدة من كل سوء أخشاه

هذا ظاهر نوره

(١) أنظر الباب للنقوش في مقدمة الكتاب (٢) وتسمى آيات الشفاء